جمعية مراكز الأحياء - مكة المكرمة

مشروع تعظيم البلد الحرام

هاجر

مقالة بعنوان "أدرِكه قبل رُجوعِه"

كاتبته: أريج شامي السيد

عضوة الفريق الرقمي بالقسم النسائي "هاجر"

أدرِكه قبل رُجوعِه

"أخيرًا وصلتُ إليها، هي مطلبي الأول، وهدفي النهائي من كل رحلتي المضنية، وتخطيطي منذ سنين، رأيتها كتابوت ضخم تغطيه ظلالٌ قاتمة، لكن كان هنالك من الخيال سرابٌ يعطيها فتنة مميزة، وسحرًا خاصًا" هذا ما قاله المستشرق بيرتون واصفًا ما رأت عيناه، مستشعرًا عظمة المشهد المُهيب، متنكرًا بهيئة حاجٍ؛ بُغية الاستكشاف؛ وأخذِ عينة من الحجر الأسود الذي ظنوا أنه قطعة من البازلت جرفتها السيول؛ وألقت بها في مكة، ولكن تبين لهم عكس ما ظنوا، وثبت لهم أنه حجرٌ من السماء، لطالما كان محط نظر العالم، ومصدر فضولٍ بالنسبة لهم، أما بالنسبة للمسلمين فكان إيمانًا بأنه حجرٌ من الجنَّة، وشرفٌ عظيمٌ ميزنا الله به.

حجرٌ مضيء لكن الله عز وجل طمس نوره لحكمةٍ إلهية، وليحرم الكفرة من لذة رؤية نعيمٍ من الجنة، ويكون إيمان المؤمن وتصديقه حقًا، فكما قال البجيرمي رحمه الله في طمس نور الحجر والمقام: **"وإنما أذهب الله نورهما؛ ليكون إيمان الناس بكونهما إيمانًا بالغيب، ولو لم يطمس لكان الإيمان بهما إيمانًا بالمشاهدة، والإيمان الموجب للثواب هو الإيمان بالغيب".**

حجرٌ أبيضٌ ومن شؤم الذنوب اسودّ؛ كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: **"نزلَ الحجرُ الأسوَدُ منَ الجنَّةِ وَهوَ أشدُّ بياضًا منَ اللَّبنِ فسَوَّدَتهُ خطايا بَني آدمَ"**[1]، ولنا أن نعلم مدى شناعة الخطيئة وتأثيرها، فكيف بقلوب البشر؟!

ياقوتةٌ من يواقيت الجنة، شرفٌ عظيمٌ احتضنته بكة، فحُق لها أن تتباهى بما اخُتصت به، وحُق للمؤمن أن يسعد بنعيمٍ من الجنة، وأن يستمتع به، وله أن يعلم أن مسحه كفارةٌ للخطايا؛ كما قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم: **" إنَّ مسحَ الرُّكنِ اليمانيَّ، والرُّكنِ الأَسوَدِ يحُطُّ الخطايا حطًّا "**(٢).

"وقبِّل حجرًا مكرَّمًا نزل من الجنة، وضع فمك لاثمًا مكانًا قبَّله سيد البشر صلى الله عليه وسلم، فهنأك الله بما أعطاك، فما فوق ذلك مفخر" هذا ما قاله الذهبي رحمة الله عليه في تقبيل الحجر الأسود، وإن في ذلك لشرفٌ عظيمٌ حبانا الله به، فلنا أن نستشعر بقلبٍ مؤمنٍ وموقنٍ حقًا! عن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **"واللهِ ليبعثنَّه اللهُ يومَ القيامةِ، له عينانِ يبصرُ بهما، ولسانٌ ينطقُ به، يشهدُ علَى مَنْ استلمَه بحقٍّ"**(٣).

قال المؤرخ محمد طاهر الكردي **"والذي يظهر من الحجر الأسود في زماننا - منتصف القرن الرابع عشر الهجري – ونستلم ونقبّله ثماني قطع صغار مختلفة الحجم، أكبرها بقدر التمرة الواحدة، كانت قد تساقطت منه حين الاعتداءات عليه من بعد الجهَّال والمعتدين في الأزمان السابقة"**، فقد حفظه الله برغم الحوادث التي أثرت به، ومن أشهرها حادثة القرامطة الذين أسرفوا ببيت الله الحرام، وعاثوا فيه فسادًا، وسرقوا الحجر الأسود بضعًا وعشرين سنة، وخابوا كما خاب أبرهة من قبلهم.

هل نحن مستشعرون لعظمته؟ قد يُسرد على مسامعنا، وقد تجول أنظارنا بأسطرٍ حوت كل ذلك، وقد نعلم كثيرًا، ولكن هل نعي؟ هل ندرك أنه سيعود من حيث

أتى يومًا ما؟ كما قال صلى الله عليه وسلم: **" نزل جبريلُ - عليه السلام - بالحَجَر من الجنة، فوَضَعه حيث رأيتم، وإنكم لن تزالوا بخير ما بقي بين ظهرانيكم، فاستمتعوا منه ما استطعتم، فإنه يوشك أنْ يَجِيءَ فيرجع به مِنْ حيث جاء"**(٤)، فطوبى لمن استلمه بقلبٍ صادق، وأدركه قبل رُجوعِه.

المراجـــع:

- الدوسري، محمود أحمد (١٤٣٤)، الطبعة الأولى. الكعبة المشرفة. الدمام: دار ابن الجوزي.

- بكداش، سائد (١٤١٦)، الطبعة الأولى. فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام. بيروت: دار البشائر الإسلامية.

(١) رواه الترمذي (٢٢٦/٣)، ح(٨٧٧)، وقال: "حسن صحيح"؛ وابن خزيمة في "صحيحه" (٢١٩/٤)، ح(٢٧٩٧)؛ وصححه الألباني في "صحيح سنن الترمذي" (٤٥١/١)، ح(٨٧٧)

(٢) رواه عبد بن حميد في "مسند" ص(٢٦٣)؛ والترمذي عبد بن حميد في "مسند" ص(٢٦٣)؛ والترمذي (٢٩٢/٣)، ح(٩٥٩)؛ وأبو يعلى في "مسنده" (٥٢/١٠)، ح(٥٦٨٧)، والحاكم في "المستدرك" (٦٦٤/١)، ح(١٧٩٩)، وقال: "حديث صحيح، ولم يخرجاه"؛ والمنذري في "الترغيب والترهيب" (٢/١٢٢)، ح(١٧٥٦)؛ وصححه الألباني في "صحيح الترمذي" (٤٩١/١)، ح(٩٥٩).

(٣) رواه الترمذي (٢٩٤/٣)، ح(٩٦١) وحسنه؛ والمنذري في " الترغيب والترهيب" (١٢٤/٢)، ح(١٧٦٧)؛ وصححه الألباني في "صحيح سنن الترمذي" (٤٩٣/١)، ح(٩٦١).

(٤) رواه الأزرقي في "أخبار مكة" (٦٣/١، ٦٤)، رقم (٣٢٥)؛ والفاكهي في "أخبار مكة" (٩١/١)، رقم (٢٥) واللفظ له، وإسناده حسن.